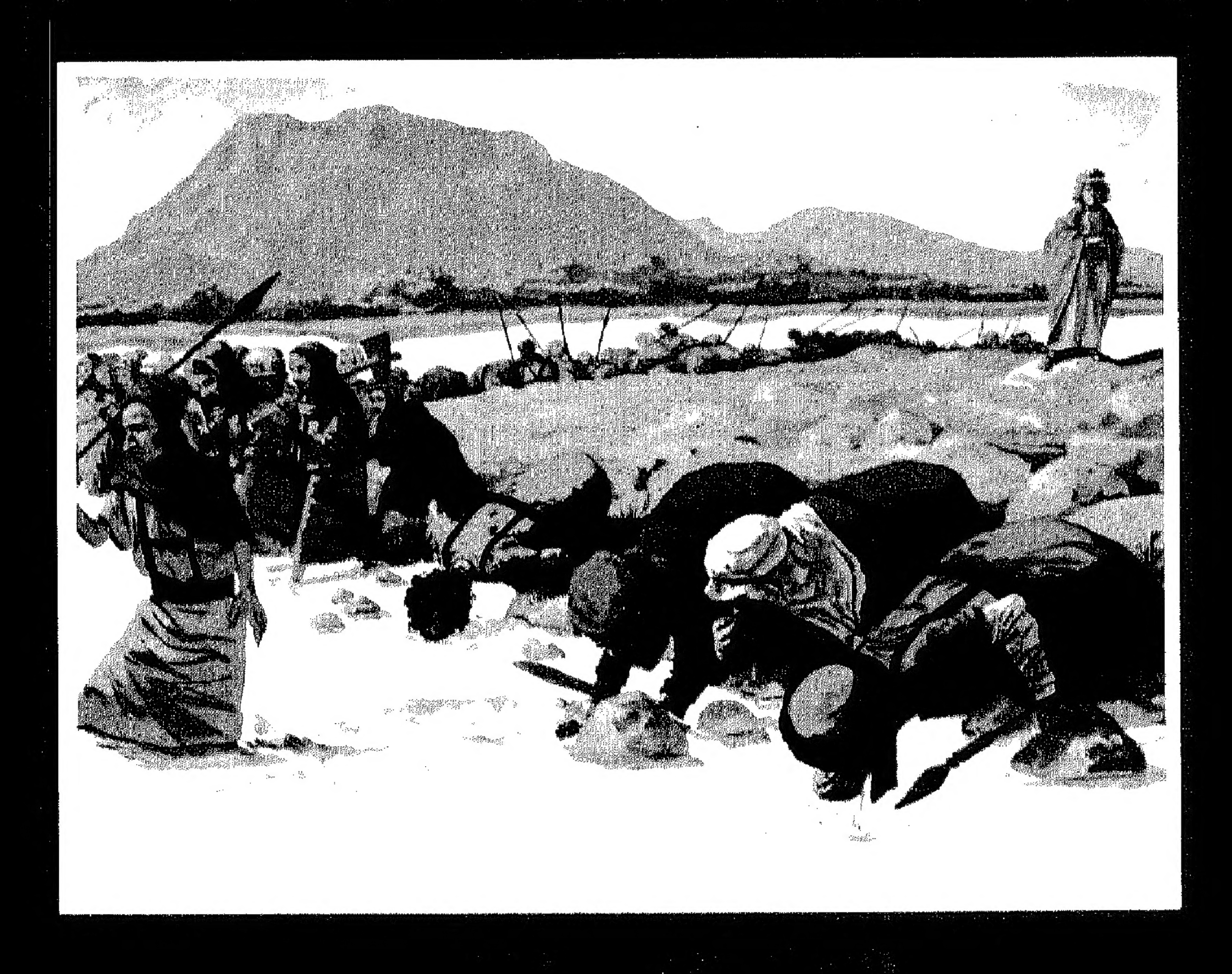
قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين



دار الشروق

الطبعـة الأولـى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

الطبعـة الثـانيـة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م

الطبعـة الثـالثـة
١٤١٤هـ - ١٩٩٣م

الطبعـة الرابعـة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص . ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩
فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكترونى: email: dar@shorouk.com

قصص القرآن

الملك طالوت والنهر

قلم : أحمد بهجت
ريشة : مصطفى حسين

دار الشروق

حين تباعدَ اليهـودُ عن تَعـاليم التَّـوراةِ التي نَـزلتْ على مـوسىٰ عليه السلام ، حين هَجروا كثيراً من تَعاليمِه وأَوامِرهِ ، عندئذٍ وقـعَ لهم مـا يقعُ لكـلِّ أُمةٍ تهجـرُ كِتـابَهـا أو تُضيعُ أَوامرَ نَبيِّـها المُرسلِ . .

تَـدهـورتْ أَحـوالُ بني إسرائيـلَ عنـدئذٍ . . وهُـزِمـوا من أعـدائِهم . . وآستولى الأعداءُ على تابوتِ العهـدِ ، وفيه بقيةٌ مما تركَ آلِ موسىٰ وَهارونَ ، وتَشـرَّدوا في الأرضِ ، وطُـرِدوا مـن دِيـارهِم ، وساءَتْ أَحـوالُهُم ، وشـاعَ الـذُّلُّ بينهم ، وحكَمَهُم الضّعفُ ، ثم شـاءَ الله تبـاركَ وتعـالىٰ أن يَـرحمَهُم فـأَرسلَ إليهم نَبيّـاً . . وبدأ هـذا النبيُّ يَدعو قَومهُ إلى الله . .

وذات يومٍ ذهبَ كبارُ القومِ من بني إسـرائيـلَ إلى هـذا النبيِّ وقـالـوا لـه : أَليس الله هو الذي بعثكَ إلينا ؟

قال : نعم .

قـالـوا لـه : ألسنـا مُشـرَّدينَ ؟

قال : نعم .

قالوا : ألسنا مَظلومينَ ؟

قال : نعم .

قـالوا : لمـاذا لا تَسألُ أن يبعثَ لنـا مَلكاً يَجمعُنا تحت رايتـهِ كي نُقاتـلَ في سَبيـلِ الله ونَستعيـدَ حقَّنـا ونُصلحَ مـا فَسدَ من أَحوالِنا ؟

قـال نَبيُّهم :أَخافُ إن دعوتُ الله أن يَبعثَ لكُم ملِكاً يَدعوكُم إلى القتالِ ألا تُقاتِلوا .

قال كِبارُ القومِ :ولماذا لا نُقـاتِلُ في سَبيلِ الله وقد أُخرِجْنا من دِيارِنا وأَبنائِنا ؟

قال نَبيُّهم : لن تَتراجَعـوا لو حـدثَ ما تَطلُبونَه ؟

قــالــوا : أبــداً لن نَتــراجــعَ . .
قال نبيُّهم : سوف أَسـأَلُ الله تعالىٰ أن يختارَ لكم مَلِكاً تُقاتِلونَ تحت رايَته .
آنصـرفَ القـومُ ودَعـا النبـيُّ ربَّ العالمينَ أن يختارَ لهم مَلِكاً . .
في نفسِ الـوقتِ . . خرجَ طـالوتُ يَرعىٰ غَنَمه . . كان طالـوتُ واحِداً من بني إسرائيلَ ، وكـان قلبُه يَنـطوي على الخيرِ ، وكان معه أَحدُ فِتيانِه ، فآنشغلَ في حَديثٍ هامسٍ معَ الفتى ، فَشَردتْ غنمُه في السُّهولِ .
ثم آنتهىٰ حَديثُه مع الغُلامِ ، فـنظرَ حولَه فلم يـرَ الغنمَ ولاَ رأى الحميرَ . .
قال لِغُلامِه: لقد آستَغرقنا الحديثَ فَسارتِ الأغنامُ في الصحراءِ.. تعالَ نبحثُ عنها. .
آنـطلقَ طالـوتُ في الصحراءِ بحثاً عن قَطيعهِ ، فسارَ مَسافةً طَويلةً ، حتى إذا أَجهَـدهُ التعبُ وآنحـدرتِ الشمسُ نحـو المَغيبِ ولم يجدْ غنمَـه ويَئِسَ من العُثور عليها ، قرر أَن يذهبَ إلى النبيِّ ليسألَه أين ضاعتْ . .
عـاد طالـوتُ من الصحـراءِ وشقَّ طـريقَهُ إلى بيتِ نبيِّهم ودخـلَ عليه . .



قـال طالوتُ :أيها النبيُّ الكريمُ . . خـرجتُ أرعىٰ الأغنـامَ والحـميـرَ ، فَشردتْ مني في الصحراءِ ، ولم أَعرفْ أَين ذهبتْ ، وقد جئتُ أَسأَلُك عنها . .

سأَلَه النبيُّ : هل تَحسُّ بالقلقِ على أَغنامِكَ وحَميرِكَ ؟
قال طالوتُ : نعم . .
قـال النبيُّ : لا تُشغلْ بـالَك بهـا ،

فقد عادتْ إلى بيت أَبيكَ . . دعكَ من مَوضوعِ الأغنامِ وآستمعْ إليَّ . . لقـد سـأَلني المَـلأُ من بني إسـرائيـلَ أن أَدعـو الله أن يختـارَ لهم ملكـاً يُقـاتِلونَ

تحت رايتِه في سبيلِ الله ، وقد دعوتُ الله فٱختاركَ ملِكاً على بني إسرائيلَ .. وعليكَ أن تُعِدَّ نفسكَ للقِتال.

سألَ طالوتُ : الله هو الذي ٱختارَني ؟

قال : نعم ..

قالَ طالوتُ وهو يَحسُّ بالسّعادةِ والرّهبةِ : أنا رهنُ إشارتِكَ ..

قال النبيُّ : غداً نُقابلُ رؤَساءَ بني إسرائيلَ .

جاءَ الغدُ ، فٱجتمَع رُؤساءُ بني إسرائيلَ وٱجتمَع معهم طالوتُ ..

وقالَ لهُم نبيُّهُم : إن الله قد بعثَ لكُم طالوتَ مَلكاً ..

وَبرزتْ عواملُ العِنادِ في نُفوسِ بني إسرائيلَ فقالوا : كيفَ يكونُ له المُلكُ ونحن أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

سألَهم نبيُّهُم : لماذا تَتصوَّرونَ أنكُم أحقُّ بالمُلكِ منه ؟

قال الرؤَساءُ : نحن أغنىٰ كثيراً منه .. أنظرْ إليه .. إنه يَرتدي ملابسَ الرُّعاةِ الفقيرةِ ..

قال النبي : ليستِ العِبرةُ في حُكمِ الشُّعوبِ بالغِنى أو الفَقر ، العِبرةُ بالقُدرة على قِيادةِ الشُّعوب ، إن طالوتَ هو ٱختيارُ الله تعالىٰ لَكُم ، وقد ٱختارَه الله تعالىٰ لِعلمِه وقُدرَتِه .

عادَ رؤَساءُ بني إسرائيلَ يَقولونَ : نحن نُصدِّقُك أيها النبيُّ ، ولكن كيفَ نَنسى أننا نحن شُرفاءُ هذه الأمَّة وسادتُها ؟ فكيف تَجاهَلنا الله وٱختارَه هو ؟

قالَ النبيُّ : ليس لِمثلي أن يسألَ الله لماذا ؟ إن الأنبياءَ لا يَسألونَ وإنما يَستمِعون ويُطيعونَ .. وهذا هو

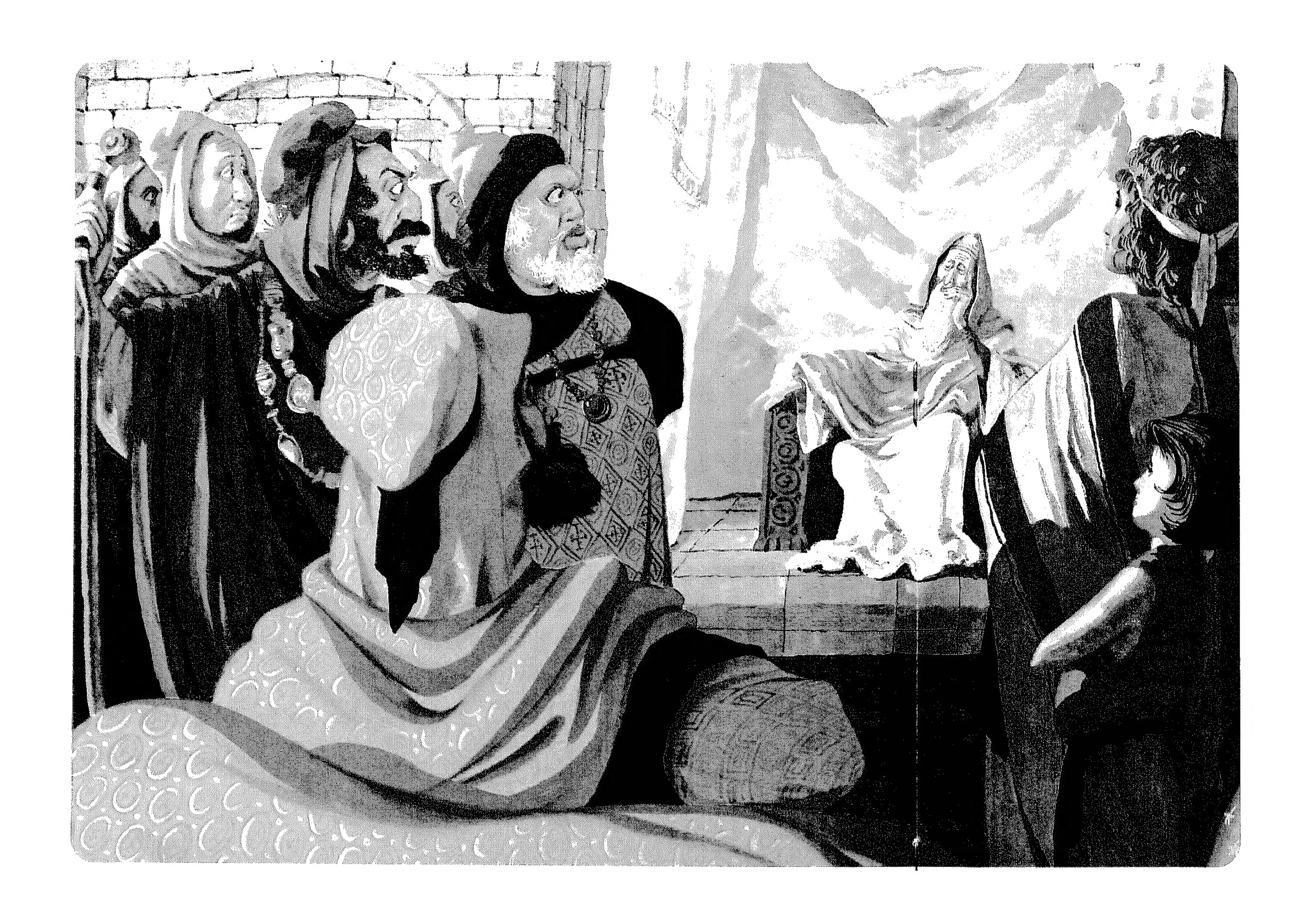
آختيارُ الله له . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : أنتَ تسدُّ عَلينا بابَ الحِوارِ أيّها النبيُّ . . نحن نُريدُ أن نَعرفَ لماذا آختيرَ طالوتُ ملكاً علينا . . إن طالوتَ فقيرٌ . . ومن الرُّعاةِ . . ليس من عائِلةٍ كبيرَة ولا تاريخَ له في الحرب ولا في الحُكم ولا في السِّياسةِ . . أَليس من حقِّنا أن نسأَلَ لماذا فَضَّلَه الله علينا ؟

قال النبيُّ : عِلمُه هو الذي فضَّلَه عليكُم . . لقد آتاهُ الله بَسطةً في العِلمِ والجِسمِ . .

قال سادةُ بني إسرائيلَ : إنّ فينا من هو أقوى منه جَسداً وأكثَر منه عِلماً . .

قال النبيُّ : أَيُّها السَّادة . . لقد أَفهمتُكُم أَكثَر من مرةٍ أن العِبرةَ في الحُكم بِقُدرةِ الحاكِم على قِيادةِ الشعبِ ، ولقد حدَّثتكُم أن آختيارَه للمُلكِ جاءَ من الله . . وليس لي أن أسألَ الله لماذا آختارَه للمُلك . . لعله آختارَه لِيَبتَليه . . من يَدري ؟ إن أَحداً لا يعرفُ أَسرارَ الله وحِكمتَه في خَلقِه .



قال سادةُ بني إسرائيلَ : كيف نتأكَّدُ أن الله هو الذي آختارَه لنا ؟ نُريدُ مُعجِزةً تُثبتُ صدقَه .

قالَ نبيُّهم : آذهبوا إلى المَعبدِ غداً فسوف تَقعُ المُعجزةُ ويَأْتيكُم تابوتُ العهدِ .

آحتَشدَ خلقٌ هائلٌ من بني إسرائيلَ في اليومِ التّالي آنتِظاراً لِوُقوعِ المُعجِزةِ . . كان تابوتُ العهدِ يَضُمُّ بَعضَ أَلواحِ التوراةِ التي أُنزلتْ على موسىٰ ، كما كان فيه بعضُ آثارٍ تَركَها موسىٰ وهارُون . . وكان هذا التابوتُ

قد سُلِبَ منهم وآستولى عليه عَدُوُّهم . .

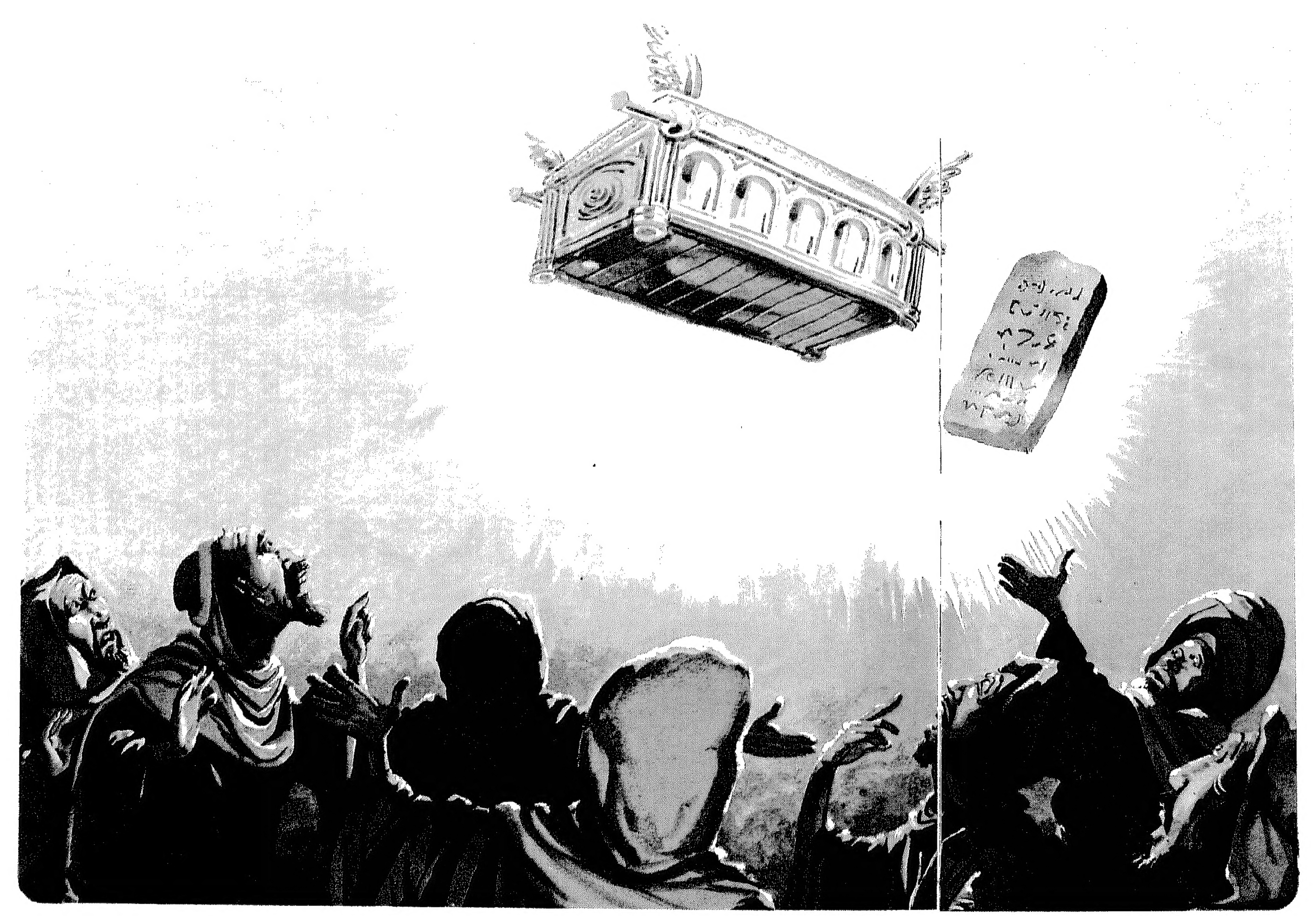
وقفَ الناسُ يَنتظِرونَ وُقوعَ المُعجِزَةِ . . وفي الوقتِ الذي حدَّدهُ نبيُّهم فُوجِئوا أن التابوتَ يَعودُ إلى مكانِه في المَعبد ، حَملتهُ الملائِكَةُ وَوضَعتهُ في مكانِه وسطَ دهشةِ الناسِ وآنبهارِهم . . لم يَروا المَلائكةَ ولكنَّهم رأوا تابوتَ العَهدِ يَسبحُ بِبطءٍ وجَلالٍ إلى مكانِهِ في المَعبدِ .

وأحسَّ الناسُ بالسَّكينةِ وآطمأنّوا لاختيارِ طالوتَ ملِكاً عليهم . .

وهكذا أَصبحَ طالوتُ ملِكاً على قَومِه . .

قَدَّم الناسُ له فروضَ الطّاعةِ في حفلٍ كبيرٍ وآنتظَروا أوامِرَه . .

كان أولُ أمرٍ أصدَره طالوتُ أن يَبدأ تكوينَ جيشٍ قويٍّ يتَدربُ على القِتالِ . .



أرسلَ طالوتُ في كلِّ قُرى بني إسرائيلَ يدعوُ الشبابَ القادرَ على حملِ السلاحِ إلى الحرب . . آنضمَّ إلى الجَيشِ جَمعٌ كثيرٌ من الشبابِ والرجالِ . . وبدأتْ مصانعُ الدُّروعِ والأسلحةِ تَعملُ ، وبدأَ التدريبُ على آستِخدامِ الأسلحةِ . .

كان طالوتُ يعرفُ أَن الحربَ تَعني تَوظيفُ كلّ قُوةِ الشعبِ وقِيادتِه لِهدفٍ واحدٍ . . هو النصرُ العسكريُّ . . وكان يعرفُ أن الحُروبَ تَقتضي نَفَقاتٍ كثيرةً وآستِعداداتٍ ضخمةً .

إن الحربَ هي السِّلاحُ والإنسانُ الذي يَستخدِمُه . لا بدَّ من توفيرِ السِّلاح إذاً . .

وبدَأ طالوتُ في تَوجيهِ كلِّ قُوةِ قومِهِ

لِصناعةِ الأسلحةِ ، وكان يـرقُبُ بنفسِه حظَّ الأسلِحـةِ من القُـوةِ والصَّـلابـةِ ، وكــان يَمتحِنُهـا بنفسِــه ويُشـرفُ على التَّدريب شَخصِيّاً .

وآستمرَّ صُنعُ السلاح والتَّدريبِ فَترةً طَـويلةً ، حتى آطمأَنَّ طـالوتُ لِسِـلاح قومِه . .

كـان عدوُّهم هـو جـالـوتَ ، وكـان جالوتُ قائِداً عَظيماً لم يَهزِمْهُ أَحـدٌ . . وكانَ يَتبعُه جيشٌ هائِلٌ لا نِهايةَ لِجُنـودِه ولا مثيـلَ لأسلحَتِه في القُـوةِ . . وكـانَ جالوتُ يُشبِـهُ إعصاراً مُـدمِّراً لا يُقـاومُه أَحُد .

كان طالوتُ حَكيماً فأدركَ أن جَوهَـر النَّصرِ لا يَكمُن في قُوةِ السلاحِ بِقدرِ ما يَخضَـعُ لِقُوةِ الإرادةِ ، أدركَ أنَ الغَلَبَـةَ ليستْ بـأَعـدادِ الجُنـودِ إنمـا بِصـلابـةِ العَزيمة . . وهكذا آطمأنَّ طالوتُ لِقُوةِ الجيشِ ، ولكنّـه لم يكُن قـد آطمـأنّ بعد لِقُوةِ الرُّوحِ المَعنويّـةِ عند الجُنـودِ والقادةِ . .

ولهـذا قـرّرَ أن يَمتحنَ هـذا الجيشَ قبل أَن يَخوضَ به المعركةَ الحاسِمة مع عدوِّهم جالوت . .

وأَمـر طالـوتُ جيشَه أن يسيـرَ وسطَ صحراءٍ مُحرقةٍ . .

ظلَّ الجيشُ يسيرُ أيَّاماً وليـاليَ وسطَ هــذه الصحـراءِ حتى بـلغَ العـطشُ بالرجالِ كلّ مَبلغٍ . .

وآنتهىٰ كـلُّ المـاءِ الـذي يَحمِلُه الجُنودُ والضُّباطُ . .

كانت نِهايةُ الرِّحلة في الصحـراءِ قد آقتربَت ، وكان طالوتُ يعـرفُ أن هناكَ نَهراً قَريباً ماؤهُ شـديدُ العُـذوبةِ ، وقـرَّر طـالوتُ أن يكـونَ هـذا النهـرُ هـو أولَ

آمتحانٍ عمليٍّ لجيشِه . .

جمعَ طالوتُ قادةَ الجُندِ والألويَـةِ وقـال لهُم : نَقتربُ الآن من نهـرٍ سوفَ يَعبُـرهُ الجيشُ . . لا تَشـربـوا مِن هـذا النهرِ . . بلِّلوا شِفاهَكُم وأيديَكُم بالماءِ فقط . .

قـال قـادةُ الجُنـدِ : لكن الجيشَ يحسُّ بالعَطشِ . .

قـال طالـوتُ : من يشربُ من هـذا النهـرِ فليسَ منِّي . . إلا من آغتـرفَ غـرفـةً بيـدهِ . . ومن يشـربُ من النهرِ فَلينسحبْ من الـجيشِ . . آعـلمُـوا أن الله يراكُم .

آنقُلوا أوامِري للجُنودِ وتَهيّأوا لعبورِ النهرِ . .

نَقـلَ القادةُ والضُّبـاطُ أوامرَ طـالوتَ للجُنودِ ، وبدأَ الجيشُ يعبرُ النهرَ . .

كـانَ الامتحانُ قـاسِياً . . فـالـدُّنيا شَـديـدةُ الحَـرارةِ ، والمـاءُ عـذبٌ وبارِدٌ . . والإغراءُ قويٌّ . .

وشربَ مُعظمُ الجنُـودِ من النهرِ ولم يَستطيعوا مُقاومةَ الإغراءِ . .



آنتهى عبورُ الجيشِ للنهرِ . .

أخرجَ طالوتُ كلَّ من عصىٰ أوامـرَه وشربَ من النهرِ . .

كـان الجيشُ كبيـراً قَبـلَ أن يعبُـرَ النهرَ ، ولكنّه بعـدَ عُبورِ النهـرِ وخُروجِ من خرج منه تغيرَ تَماماً . .

آنـكـمَش الـجـيشُ إلـى أَقـلّ مـن النِّصفِ . .

قـالَ قادةُ الجيشِ لِطالـوت : لقـد آنكمشَ عَددُنا كثيـراً . . فكيفَ نُقاتـلُ جيشَ جالوتَ الهائلِ بهذا العددِ القليلِ ؟

قـالَ طـالـوتُ : ليسَت العبـرةُ في

القِتالِ بعددِ المُقاتلين، المُهم إرادَتُهم .

قـالَ القـادةُ : لقــد خـرجَ مُعــظمُ الجيشِ . . ولم يبقَ سِوى القليلِ .

قـالَ طالـوتُ : بل بقيَ الكثيـرُ . . لقـد خـرجَ غيـرُ المُخلصينَ . . وبقيَ المُخلصـونَ الصَّابـرونَ . . والصبرُ طريقُ النصرِ وأداتِه . .

وآنخَـرط الجيشُ في حوارٍ حـولَ ما فعلهُ طالوتُ . .

قـال أحدُ الجُنـودِ : لو أن طـالـوتَ تَركنا نشربُ من النهرِ لزادَ عددَنـا ونحن نُحاربُ جالوتَ . .

قالَ ضابطٌ في الجيشِ : إن العـددَ لا يكسبُ الحربَ أبداً . .

تسـاءَلَ الجُندي : مـا الذي يُكسِبُ الحروبَ إذن ؟



قــال الضــابطُ : شيءٌ لـيس هــو السـلاحُ ، وإن كـان السـلاحُ مُهمـاً ، وشيءٌ ليس ظـاهِراً وإنمـا هو خفيٌّ . . شيءٌ يُسمُّـونَـه الـرُّوح . . . أو إصـرارُ الـروحِ على الكسبِ . إن الجُنـديَّ الذي لا يَستطيعُ الصّبرَ على العطشِ لا يستـطيعُ الصبـرَ على حرارةِ المعـركـةِ وعَـطشِها . . والجُنـدي الذي لا يتبعُ أوامِـر قـائِـدِه يُمكنُ أن يُؤدِّي لإربـاكِ الجيشِ كُلهِ في المعركِة .

لقـدَ خــرجَ من الجيشِ ضعــافُ الـروحِ . . وبَقيَ الأقـويـاءُ . . وغـداً نَرى مَا نفعلهُ مع جَالوت . .

وشـاعَ الإيمـانُ العميقُ في الجيشِ وقـالَ المُؤمنـونُ : ﴿ **كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَـةً كَثِيـرَةً بِـإِذْنِ ٱللهِ وَاللهُ مَـعَ ٱلصَّابِرِينَ** ﴾ .

بسم الله الرحمن الرحيم

ألم تر إلى الملإ من بني إسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث
لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم إن كتب عليكم القتال
ألا تقاتلوا قالوا وما لنا ألا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا
وأبنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا إلا قليلا منهم والله عليم
بالظالمين ۝ وقال لهم نبيهم إن الله قد بعث لكم طالوت ملكا
قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة
من المال قال إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم
والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم ۝ وقال لهم نبيهم إن
آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل
موسى وآل هارون تحمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم
مؤمنين ۝ فلما فصل طالوت بالجنود قال إن الله مبتليكم بنهر
فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فإنه مني إلا من اغترف
غرفة بيده فشربوا منه إلا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا
معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون
أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله
مع الصابرين

صدق الله العظيم